بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زين الحياة بالبنين والبنات، وجعل صلاحهم ذخر الدنيا وبعد الممات، وأعظم بهم الأجور والمثوبات، وأناط بهم الحقوق والواجبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب البريات، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله المبعوث بختم الرسالات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أولي المكارم العليات، وعلى من تبعهم بإحسان واستقام على الخيرات.

أما بعد....

أيها المسلمون؛ اتقوا ربكم حق تقواه، واستمسكوا بأوثق دينكم وأعلاه، وتزودوا ليومٍ ترجعون فيه إلى الله.

أيها الناس؛ مسئولية الآباء تجاه الأبناء مسئولية تمليها الفطر السليمة، وتستوجبها الشريعة المستقيمة فلا أعز على الإنسان من ولده، ولا أحب إليه من ثمرة قلبه، والمرء مفتونٌ بابنه، ومفطور على رعاية مصلحته، وقد جاء الإسلام بأسباب قرة العيون بالأولاد حيث المراعاة التامة والحقوق الشاملة والآداب الكاملة.

فالأسرة ليست بيتًا كيفما اتفق، وإنما هي لبنة في كيان أمة، ومزرعة لثمارٍ يانعة طيبة نافعة، والزواج ليس تفريغًا لشهوةٍ زائغة أو نزوة عابرة، وإنما هو سكن راحة في الدنيا وسعادة ممتدة إلى أبد الأخرى.

ولا يوجد قانون في الأرض أشمل ولا أكمل ولا أطهر في

بناء الأسرة، ومراعاة حقوقها وحقوق من فيها من الإسلام مراعاة قبل الوجود ومراعاة بعده، ومراعاة بعد الوفاة.

فقد حثّ الإسلام على اختيار الأم الصالحة وأمر بالذكر الخاص عند ارادة طلب الولد لحفظه من الشيطان وأرشد على اختيار الاسم الحسن، وحث على الدعاء للذرية بالصلاح، وأخبر أن دعاء الوالد لولده مستجاب ونهى عن الدعاء على الأولاد، وأمر بحسن التربية، وأوجب ذلك، وأخبر أن الوالد سيسأل عن ولده وحث على تعليمه ما ينفعه، وأمر بتعهد صلاته ودينه.

ورغب الآباء بأن يكونوا قدوة حسنة للأبناء، وأن يتعاهدوهم بالوعظ والوصايا وحذر من تضيعهم وإهمال ذويهم لحقوقهم وتربيتهم، فالتربية شأنها عظيم، والمسئولية بها كبيرة فكلكم راعٍ وإن الله سائل كل راعٍ ما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته، والذرية أيها المسلمون بطيبها وصلاحها وقرة الأعين بها ولذلك كان من دعاء المرسلين والصالحين؛ هب لي من الصالحين، هب لي من لدنك ذرية طيبة، هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، فليس كل ذرية نافعة.

فمن الأولاد من يكون وبالًا على والديه؛ ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التَّغَابُن الآية ١٤] فمن لم يكن طيبًا كان عدوًا ووبالًا على أهله، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكَهف الآية ٨٠].

فمن أراد السلامة والسعادة وقرة العين فليُحسن التربية، وتأمل ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء الآية ٢٤] لما رباه وأحسنا تربيته صغيرا توجه إلى ربه داعيًا لهما كبيرا، فثمرة رباني ربي ارحمهما، وولد صالح يدعو له.

وإننا أيها المسلمون في زمان الفتن سماء من غيوم الضلال متلبدا، وبحار من الشبهات متلاطمة، وأودية من الشهوات جارفًا، ولا مطمع للسلامة التامة ولكننا على دين بين كامل، وعلى محجة بيضاء واضحة، وعلى سنة شاملة عاصمة، فمن تمسك بها هدي ومن لزم غرسها نجى ألا وإن من أهم أسباب الصلاح وعلامات حسن التربية والقيام بواجب المسئولية غرس الإيمان في النفوس، ومليء القلوب بمعانيه كما كان يفعل ﷺ وقد قال لابن عباس: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» (١).

وأعظم عون على ذلك: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة الآية ٤٥] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه الآية ١٣٢]، ثم تعليقهم بالقدوات الصالحة بمدارسة السيرة العطرة ومذاكرة أخلاق أصحاب القرون المفضلة ومن بعدهم من الأئمة، وقال علي بن الحسين: «كنا نعلم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نُعلم السورة من القرآن» (٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٣٥٥.

وقال الإمام مالك: «كان السلف يعلمون اولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن» [٣].

ثم تربيتهم على الأخلاق الحميدة مع مراعاة الحقوق، وملازمة مكارم الأخلاق، والتطبع لمحاسن القيم فيعرفون حقوق الكبار، ويعطفون على الصغار، ويراعون حسن الجوار ويبنون حياتهم وأوطانهم بكل حب واقتدار، وسياج التربية الدعاء بالتوفيق والصلاح للذرية.

فدعاء الوالد لولده تُفتح له أبواب السماء، وهو سنة الرسل والأنبياء، وفوات التربية عقوق وندامة ثم حسرة في القيامة.

وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة.

أيها المسلمون إن التربية والرعاية والمسئولية في ديننا تنطلق من قول ربنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التَّحريم الآية ٦].

فالواجب وقايتهم من النار وقد كان السلف كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا نشأ لأحدهم ولد شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبه» [٤].

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصبي أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ

(٣) موطأ مالك: ١/٢٥٥.
(٤) انظر صيد الخاطر: ٤٩١.

وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ ... وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظَهُ من القرناء السُّوءِ» [٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمن أهمل تَعْلِيم وَلَده مَا يَنْفَعهُ وَتَركه سدى فقد أَسَاءَ إِلَيْهِ غَايَة الْإِسَاءَة وَأكْثر الْأَوْلَاد إِنَّمَا جَاءَ فسادهم من قبل الْآبَاء وإهمالهم لَهُم وَترك تعليمهم فَرَائض الدّين وسننه فأضاعوهم صغَارًا فَلم ينتفعوا بِأَنْفسِهِم وَلم ينفعوا آبَاءَهُم كبارًا» [٦].

(٥) انظر إحياء علوم الدين: ٧٢.
(٦) انظر تحفة المودود بأحكام المولود ٢٣٠.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

مسؤولية الأب

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE

الشيخ
د. محمد بن غيث غيث